

# في جندرة الإرهاب ونزع الجندرة

قراءة في كتاب: النساء والإرهاب (دراسة جندرية)

د. امبارك حامدي •

DOI : 10.12816/0055861

## الملخص:

اتجهنا في هذه المقاربة إلى تنزيل كتاب «النساء والإرهاب: دراسة جندرية»، لمؤلفته: الكاتبة والأستاذة الجامعية أمل قرامي والصحفية منية العرفاوي، في إطاره النظري والتاريخي. واعتمدنا منهجاً تحليلياً نقدياً لمراجعة الجزء النظري من هذا الكتاب، وهو الجزء الذي حرّته أمل قرامي. وحاولنا الوقوف عند ما حاولت تفكيكه من صور نمطية ومن تمثيلات اجتماعية موروثية موصولة بالأنوثة والذكورة في قضايا العنف والتطرف الديني والأعمال «الجهادية». تلك الصور والتمثيلات التي سجت، وماتزال، النساء والرجال في لائحة من الصفات والقيم والسلوكيات والأدوار... وفي أوامر جندرية يفترض المجتمع مسبقاً، حتمية الاستجابة لها، من قبيل اعتبار العنف خاصية ذكورية، والنظر إلى المرأة بوصفها مترددة وجبانة وعاطفية... وقد حرصنا على بيان ما مثله ذلك كله من جندرة للإرهاب سواء ما تعلق منه بأسباب الانتماء إلى الجماعات الإرهابية،

● أستاذ الحضارة الحديثة بالمعهد العالي للإنسانيات - جامعة قفصة - تونس.

أو بالأدوار التي تنهض بها النساء في صلبها. وتتبعنا محاولة قرامي تنفيذ هذه الأطروحة ( جندرة الإرهاب) ، والدفاع عن أخرى مفادها تعدد مسارات الإناث والذكور في الانتماء إلى الجماعات الإرهابية أو النهوض بأدوار في صلبها. وسعينا خلال تحليلنا لأطروحة الكتاب إلى نقد بعض المواقف والأطروحات، شأن اعتبار المعطى التشريحي الفيزيولوجي للأنثى والذكر وعاءاً سلبياً لا يتعدى دوره استيعاب الإيديولوجيات الجندرية وتلقي الأفكار والصور والتمثيلات. ومنه كذلك الاقتصر على السطحي والظاهري فقط في ما يُعدّ جندرة لدواعي الانتماء وللأدوار في صلب المنظمات الإرهابية، والذهول عمّا وراء ذلك، وهو أنّ الرجال أنفسهم يخضعون لهيمنتهم الخاصة حسب العبارة الماركسية التي استدعاها بيار بورديو (Dominés par leur domination) ، وأنّ عليهم الاستجابة للإملاءات الجندرية التي توجه إليهم، والنهوض بما هو متوقّع منهم اجتماعياً.

**الكلمات المفاتيح:** الجندر - الجندرة - نزع الجندرة - الإرهاب.

### مدخل:

تعدّ الحركة النسائية في مبدئها حركة مواطنة ناشئة عن الوعي الأنواري، وما ترتب عنه من ظهور لمفهوم الفرد وحقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية... وقد وجدت تلك الحركة أسسها المادية في تطوّر الرأسمالية وحاجتها إلى يد عاملة حرّة قابلة للتعاقد والتأجير. وهي من جهة خلفياتها الفكرية «تدور في إطار إنساني هيوماني Humaniste يؤمن بفكرة مركزية الإنسان في الكون، وبفكرة الإنسانية المشتركة التي تشمل كلّ الأجناس والألوان وتشمل الرجال والنساء، وبفكرة الإنسان الاجتماعي الذي يستمدّ إنسانيته من انتمائه الحضاري والاجتماعي»<sup>(1)</sup>.

واستمرّ استمداد تلك الحركة التحررية لمشروعيتها من دفاعها عن فئة اجتماعية مضطهدة ومستغلة وذلك إلى حدود الستينات من القرن العشرين، أي إلى الفترة التي شهد فيها العالم ظهور المقولات الحدائبة وما بعد الحدائبة، فصارت الحركة النسوية أكثر راديكالية، وقد جسدت في المقاربات الجندرية بوصفها منظورا في البحث يمكن أن يباشر به الباحث مختلف القضايا المعاصرة كالحرب والسلم، والسلطة، وقضايا التنمية... في ظلّ حركة إعادة هيكلة للمجتمعات الغربية وفق منظور ماديّ أساسه المنفعة المادية والجدوى الاقتصادية، وتسليع الإنسان وتشبيّهه<sup>(2)</sup>.

(1) عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، القاهرة 2010 ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 16.

وهو ما نتج عنه انتشار القيم البرّانية المادّية على حساب القيم الأخلاقية والاجتماعية مثل: «الاهتمام بالكفاءة في العمل على حساب الحياة الخاصة (الاهتمام بالمرأة العاملة على حساب المرأة الأم). والاهتمام بالإنتاجية على حساب القيم الأخلاقية والاجتماعية الأساسية»<sup>(1)</sup>. وتمّ في المستوى الفكري والفلسفي تبني تفسير إيديولوجي للتاريخ البشري يرى أن المجتمعات كانت أمومية، (matriarchie) السيطرة فيها للمرأة والأمّ، وكانت الحياة موسومة بالرفقة والوثام والاستدارة كاستدارة النهود وعضو التأنيث، وكانت الآلهة مؤنّثة، ثم سيطر الذكور في معارك ضد الأنثى موعلة في القدم، فأسسوا نظاما مبنيا على الصراع والسلاح الذي يشبه العضو الذكري، وعلى الغزو الذي يشبه اقتحام الذكر للأنثى. وهكذا يذهب أصحاب هذه الأطروحة إلى أنّ العالم ليس متمركزا حول الكلمة (logo - centrisme) بل هو متمركز حول العضو الذكري (phallogo - centrisme) (phallus)<sup>(2)</sup>. وهكذا باتت رائدات الحركة النسوية يرينّ أنه «ينبغي على النساء ألاّ يهدفن إلى أن يصبحن مثل الرجال (كما هي الحال في كثير من الأحيان في المعركة الخاصّة بالمساواة الاجتماعيّة)، بل ينبغي عليهنّ تطوير نوع جديد من اللغة والقانون والأساطير (الميثولوجيا) والذي يتّصف بكونه نسويًا/ أنثويًا بصورة محددة»<sup>(3)</sup>، انطلاقا من الاعتقاد بأنّ الفروق الفزيولوجية والتشريحية ليست مسؤولة عن بناء الهوية الجندرية، بل تعود تلك الفروق إلى الثقافة والتشّئة دون غيرهما. وراجت القناعة بأنّ «البحث في الجندر يمكننا من تعويض الماهوية البيولوجية بالبنائية الثقافية»<sup>(4)</sup>.

وهكذا باتت المقاربة الجندرية تتمّ ضمن المنظور الذي يلخصه القول المشهور للمفكّرة الفرنسية سيمون دي بوفوار (Simone de Beauvoir): «نحن لا نولد نساء ولكننا نصير كذلك لاحقا». (on ne naît pas femme on le devient)<sup>(5)</sup>.

(1) عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، مرجع سابق، ص 17.

(2) المرجع نفسه، ص 21.

(3) جون ليتشه، خمسون مفكر أساسيا، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر. فائق البستاني، مرا. محمد البدوي،

المنظمة العربية للترجمة والمركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2008، ص 327.

(4) رجاء بن سلامة، بنیان الفحولة، أبحاث في المذكر والمؤنث، دار البترا للنشر والتوزيع، ط5، دمشق، 2005، ص 13 (الهامش).

(5) Simone de Beauvoir, Le deuxième sexe, t. II (L'expérience vécue), Paris, Gallimard, 1949, 577 p., chap. p. 13.

ولعلّ من أهمّ القضايا المعاصرة التي ذاعت مقاربتُها مقارنةً جندريّةً ظاهرة العنف ممثلاً في التطرّف الدينيّ والأسلوب الإرهابي. وفي هذا الإطار كتبت الباحثة آمال قرامي والصّحفيّة منية العرفاوي كتاباً وسمّته ب: النساء والإرهاب (دراسة جندريّة)، يقع في أربعين وخمس مائة صفحة، موزّعة إلى سبعة فصول مهّدت المؤلفتان لها بمقدّمين وذيلتاها بخاتمتين. وقد اقتضت زاوية النّظر التي اخترنا النّظر منها إلى الكتاب، الاقتصارَ على الجزء النّظريّ، وهو الجزء الذي تولّت تأليفه الباحثة آمال قرامي. وزاوية النّظر التي قصدنا تتلخّص في تبين الأطروحة التي سعت الباحثة إلى إثباتها وتلك التي حاولت دحضها، ونعني بها نزع الجندرة عن ظاهرة التطرّف والإرهاب، بديلاً من سيادة الأطروحة المقابلة/ القديمة، أي جندرة الإرهاب. وهو ما عبّرت عنه الباحثة منذ بداية مقاربتها بأنها تستهدف: «تحليل التطرف العنيف من منظور جنديّ، وإيلاء علاقات السّلطة بين الجنسين الأهميّة التي تستحقّها، ورصد التغيّرات الحاصلة في مستوى تشكّل الهويّات، وتمثّل الذات وتوزيع الأدوار، ونسق التّصورات، ومنظومة القيم، وهندسة الفضاءات»<sup>(1)</sup>. وزادت هذا الهدف تدقيقاً في قولها: «غاية ما نسعى إليه هو تقديم بعض الإجابات بشأن دواعي الانتماء إلى الجماعات الإرهابية من منظور جنديّ»<sup>(2)</sup> في مقابل ما ستعمل على دحضه. وهو «القطع مع هذا التّصور الذي يلجّ على اعتبار الفتيات والنساء المورّطات في قضايا الإرهاب ضحايا التجنيد والاستغلال»<sup>(3)</sup>. فهناك شخصيات نسائيّة ذات عزيمة وإرادة قويّتين، لا تشكو ضعفاً أو خوراً أو تردّداً.

وحرصاً من الباحثة على الوضوح النّظريّ والدقّة المنهجية بادرت منذ بداية الكتاب بتعريف المفاهيم المركزيّة، وفي مقدّمها مفهوم الجندر، والتميز بينه وبين مفهوم الجنس. فهو مطابق عندها لمصطلح «النوع الاجتماعيّ Gender» الذي «يحيل إلى المكانة التي يحددها المجتمع للرجل والمرأة في جميع مراحل حياتهما بصفتها ذكراً أو أنثى. وهو بذلك يختلف عن الجنس Sex الذي يحيل إلى الخصائص والصفات والفزيولوجية التي يتحدّد الإناث والذكور على أساسها»<sup>(4)</sup>.

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص54.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر نفسه، ص287.

(4) المصدر نفسه، ص7 (الهامش).

وبناء على ما تقدّم، تتأسّس مقاربتنا هذه على ثلاثة عناصر، نرصد من خلالها هدف الباحثة المزدوج: نقض أطروحة (الجندرة) وإبرام أخرى (نزع الجندرة)، في مستويات ثلاثة هي: المنهج ودوافع الانتماء وأدوار النساء في المنظّمات الإرهابية، وذلك على النحو الآتي:

I - المنهج: من العمى الجندريّ إلى تغيير العدسة.

II - دوافع الانتماء: من جندرة الإرهاب إلى نزع الجندرة.

III - أدوار النساء بين الجندرة ونزعها.

### I - المنهج: من العمى الجندريّ إلى تغيير العدسة

انطلقت الباحثة من توصيف واقع البحث في الدّراسات الأكاديمية والأمنيّة والصّحفيّة... المهتمّة بظاهرة الإرهاب من وجهة نظر منهجيّة، وانتهت إلى الدّعوة إلى تغيير العدسة التي بها ينبغي النّظر إلى علاقة النساء بالإرهاب انتماء وأدوارا. ولاحظت أنّ واقع البحث يتّسم بعمى جندريّ تجسّده عدّة خصائص تعود في مجملها إلى عاملين أساسيين هما: المركزيّة الذكوريّة والجهل بالمرودية المعرفيّة العالية للمقاربة الجندرية في فهم قضايا عدّة شائكة ومعقّدة تتعلّق بالبنى الذهنيّة واستراتيجيّات السّلطة وقضايا السّلّم والحرب...

#### 1- العمى المنهجيّ وتجليّاته

أفضى استقراء الباحثة للدّراسات الأكاديمية والأمنيّة والصّحفيّة في مجال الإرهاب عامّة إلى تحديد ثلاث تجليّات للعمى الجندريّ في مستوى المنهج، على النحو الآتي:

أ - هيمنة الصور النمطيّة والتمثّلات الاجتماعيّة: تعود الخاصيّة الأولى إلى المركزيّة الذكوريّة وما يجسّدها من صور نمطيّة وتمثّلات اجتماعيّة تتوزّع على أساسها صفات الذكورة والأنوثة والأدوار في الفضاء العام، وتتمّ ترجمتها في سياق إملاءات جندرية وهي الأوامر التي توجّه إلى كلّ من الرّجل والمرأة حتّى ينهض بما هو متوقّع منه اجتماعيا<sup>(1)</sup>. ولا يسلم من إعادة إنتاجها الفاعلون في المجالات الأكاديمية والإعلاميّة والصّحفيّة. تقول قرامي: «كلما ذكر النزاع والحرب والإرهاب والأنشطة الإرهابية والزّعامات الإرهابية استحضر النّاس صورة الرّجل / الفاعل المخطّط للعمليات الإرهابية أو المنفّذ لها أو المتعاطف مع الفكر المتشدد وكأنّه لا صلة للنساء بالعنف والإجرام ولا مجال للحديث عن حضورهن

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق ص 446 (الهامش).

داخل هذه الجماعات المتطرفة إلا في صورة الضحية. فالمرأة في المتخيل الاجتماعي تظلّ بـ«طبعها/ فطرتها» رقيقة وجبانة وضعيفة وبحاجة إلى رجل يحميها، ومترددة في أخذ القرارات وعاطفية... وهذه الصفات لا تؤهلها لأن تكون في زمرة القياديين أو الفاعلين على أرض الميدان»<sup>(1)</sup>.

ويزداد الأمر استفحالا، مثلما تقول الكاتبة، في الدراسات العربية التي دأبت على إهمال أخبار النساء الإرهابيات داخل المنظّمات الإرهابية، وغالبا ما يتمّ الاقتصار على الإشارة إلى بنى القرابة والعلاقات العاطفية في تفسير انخراط النساء والفتيات في المنظّمات الإرهابية. فيكون فعلها، في نظر تلك الدراسات، واقعا في دائرة الغضب والانتقام لقتل حبيب أو زوج أو ولد...<sup>(2)</sup>. وغالبا ما يُفسّر ذلك بالسلطة الذكورية المهيمنة في المجتمعات العربية البطريركية.

ب- اختزال البحث الجندري وجوهرة الاختلاف بين الجنسين: تندرج الخاصية الثانية من خصائص العمى الجندري في إطار الانحراف، وتحويل وجهة المقاربة الجندرية عن مقاصدها مثل تتبّع بنية العلاقات الجندرية بين الجنسين الذكر والأنثى الإرهابيين، إذ يتمّ اختزال الجندر «في إبراز مظاهر الاختلاف بين الجنسين، أي في «جوهرة» الاختلاف، والتفاضي عنه باعتباره مقولة تحليلية مساعدة على فهم بنية علاقات السلطة بين الجنسين وبروز أشكال الهيمنة وتوزيع الأدوار...»<sup>(3)</sup>. وهو الانحراف ذاته الذي نبّهت إليه أيضا باحثة نسوية أخرى في قولها: إن «البحث في الجندر قد يؤوّل إلى جوهرة الفوارق من جديد بين الرجل والمرأة، فيلغي واقع اضطرابات الجندر ويفضي إلى اعتبار الجسد وعاء سلبيا متقبلا للإيديولوجيا الجندرية المهيمنة»<sup>(4)</sup>.

ت- التّعامل مع المقاربة الجندرية باستخفاف بوصفها «موضة»: رصدت الباحثة في هذه الخاصية ظاهرة أخرى اتّسمت بها بعض «الدراسات الجندرية نفسها». وهي الاستخفاف،

(1) المصدر السابق، ص 14.

(2) المصدر السابق، ص 47.

(3) المصدر السابق، ص 41.

(4) رجاء بن سلامة، بنیان الفحوطة أبحاث في المذكر والمؤنث، مرجع سابق، ص 13 (الهامش).

ويمكن اعتبارها كذلك ضرباً من الانحراف شأنها شأن الخاصية السابقة (اختزال البحث الجندري). وإذا كان الشائع هو إغفال بعض الدارسين للمقاربة الجندرية انتصاراً للمركزية الذكورية، فإنّ بعضهنّ، كما تقول الباحثة، قد تعاملن معها «باستخفاف ومن منطلق «الموضة» والافتتان بسحر المصطلحات الوافدة (الجندر، التمكين...)»<sup>(1)</sup>. وهكذا فإنّ هذا الاستخفاف/ الانحراف بالمنظور الجندري لا يقلل إهداراً لإمكانية توفير فرص أكثر لفهم وتحليل الظاهرة الإرهابية من ذاك الإغفال والاختزال.

## 2- تغيير العدسة:

تدرّجت الباحثة من نقد واقع دراسات الإرهاب إلى طرح خيارات منهجية ومقاربات منشودة. وقد تراوحت تلك الخيارات والمقاربات بين الدعوة إلى التعددية المنهجية التي تجسدها «المؤالفة المعرفية وتعدّد الاختصاصات interdisciplinarity» والتقاطّع بين اختصاصات مختلفة «intersectinality» وتداخل المقاربات وتنوّع المناظير (...). [و] توظيف مناهج التحليل السائدة في الإنسانيّات كالتفكيكية ودراسات تحليل الخطاب، والدراسات الدنيوية، وعلوم التّواصل، ودراسات العنف...، وتطبيق بعض المقاربات والمناهج الأخرى التي ما عاد بالإمكان تجاهلها كالمقاربة الجندرية، وسوسيولوجيا الإرهاب، والدراسات الرجولية والذكورية (...). وتاريخ النساء ودراسات بناء الأمن والسّلام<sup>(2)</sup>. والواحدية المنهجية وتتمثّل أساساً في المقاربة الجندرية التي «لم يعترف الدارسون بأهمية توظيفها» (...). إلّا في العقدين الأخيرين بعد أن صدرت أعمال الباحثات النسويات في مجال التطرف والإرهاب<sup>(3)</sup>. وبعد أن أثبت هذا المنظور مردوديته المعرفية «مع تطبيق النظريات النسوية في العلوم السياسية والعلاقات الدولية منذ العشريّة الأولى من القرن الواحد والعشرين»<sup>(4)</sup>.

ورغم تأكيد الباحثة إيمانها بأهمية التعدّد المنهجي (تعدّد الاختصاصات «interdisciplinarity» والتقاطّع بين اختصاصات مختلفة «intersectinality») مثلما أسلفنا، فإنّها تبّه إلى أنّ ذلك

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 515.

(2) المصدر نفسه، ص 8.

(3) المصدر نفسه، ص 40.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

التعدّد قد يوحي بإمكانية إلغاء براديفم الجندر، إذ تشير إلى انعدام الفوارق بين الإناث والذكور. وإمكانية تجاوز الحدود الجندرية<sup>(1)</sup>. فهل يمكن أن نعتبر أنّ الباحثة قد وقعت في ضرب من التناقض، إذ هي من جهة ترى أنّ البحث في الاختلاف بين الجنسين هو جوهره للاختلاف (النقطة ب)، وترى، في الآن ذاته، أنّ التعدّد المنهجي قد يوحي بانعدام الفوارق بين الجنسين وعدم أهميّة المنظور الجندري؟

وقد ختمت قرامي خياراتها المنهجية ببيان خطتها في دراسة ظاهرة الإرهاب دراسة جندرية. وهي خطة متدرّجه، لخصتها بقولها: «رأينا أن نطلق من العامّ نحو الخاصّ، ومن المشترك نحو الخاص [الفرديّ]، وأن تكون عدسة التحليل موجّهة في البدء نحو الشابات والنساء والشبان والرجال، وفي مرحلة لاحقة نحو الفتيات والنساء فقط»<sup>(2)</sup>. وفي هذا التمشّي ما يكفل تفكيك الصور النمطية والتمثيلات الاجتماعية للأنوثة والذكورة في علاقتهما بظاهرة التطرف العنيف، وكشف البنى الذهنية العميقة وعلاقة الهيمنة والتسلّط الذكورية، وصولاً إلى فهم التحوّلات الجديدة (أو الكشف عمّا يتم إعادة إنتاجه) من قيم وصور وسلوكات في علاقة الأنوثة بالإرهاب.

## II - دوافع الانتماء: من جندرة الإرهاب إلى نزع الجندرة

يُعدّ مجال الانتماء المستوى الثاني الذي اتّخذته الباحثة منطلقاً لنزع الجندرة، بناء على اعتبارها جندرة الإرهاب مرادفاً للتمييز بين عنف المرأة المبرّر وعنّف الرّجل غير المبرر<sup>(3)</sup>. وسنعمل في مرحلة أولى على الكشف عمّا اعتبرته الكاتبة مظاهر للجندرة، على أن نتولّى في مرحلة ثانية رصد كيفية نزعها الجندرة عن دوافع انتماء النساء إلى التنظيمات الإرهابية.

### 1- جندرة دوافع الانتماء:

باشرت الباحثة تفكيك الخطاب السائد (خطاب الأميّين والباحثين والسياسيين) المتّصل بإرهاب النساء، فكشفت تمرّكزه الذكوريّ، وبيّنت الطبيعة البطريكية لقوى المجتمع التي تعمل على ديمومة النظام الجندري التقليدي ونسق التمثيلات الموروثة والصور النمطية التي تتّجها تلك القوى وتعيد إنتاجها (المرأة بيتوتة، سكيّنة، استقرار، طمأنينة). وهكذا يغدو السؤال المثير

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 105.

(2) المصدر نفسه، ص 104.

(3) المصدر نفسه، ص 42.

عند هؤلاء، كما تقول الباحثة، هو: «ما الذي يجعل المرأة تتحوّل إلى إرهابية؟»<sup>(1)</sup> وهو سؤال يهمس بالإنكار والتعجب من تحوّل المرأة «الضعيفة بطبعها» إلى إرهابية.

وتتمثّل أولى مظاهر الجندرة في اعتبار أغلب الدّارسين أنّ النّساء ينخرطن في الأعمال الإرهابية بسبب عوامل شخصية لا بسبب دوافع إيديولوجية. وهو استنتاج يستعيد التّمثّلات التّقليديّة التي تعتبر المرأة عاطفيّة متردّدة. ولا مرآء في أنّ هذه النّظرة إنّما تكرّس النّظام التّقليديّ: أنوثة/ ذكورة، عقل/ عاطفة، رصانة/ انفعال، نظام/ فوضى، الموضوعية/ الذاتية، التّعقل/ الانفعاليّة. وهو ما يعني جندرة الدّوافع، أي التّمييز بين دوافع المرأة الشّخصية العاطفيّة المبرّرة (مبرّرة بأنّها عرضيّة وغير مقصودة ومن هنا اعتبار المرأة ضحيّة وإن نذت بنفسها العمل الإرهابي)، ودوافع الرجل الإيديولوجيّة العقلانيّة غير المبرّرة (غير مبرّرة لأنّها مقصودة مع سبق الإصرار)<sup>(2)</sup>. وانسجاماً مع هذه النّظرة يرى بعض الدّارسين الغربيين أنّ المرأة المسلمة خانعة ومفعول بها وتحتاج إلى من يحزّرها، ومن هنا ضرورة التّركيز على الرّجل المسلم لأنّه هو مركز الخطر، وما مشاركة المرأة سوى تعبير عن طاعتها لأوامره وانصياع منها لمشيئته<sup>(3)</sup>. وفي السّياق نفسه، تنتقد الباحثة ذهاب بعض الدّارسين والأمنيّين في تفسير دوافع بعض النّساء والفتيات للانخراط في الأنشطة الإرهابيّة بالرغبة في تحقيق المساواة الجندريّة، مشدّدة على أنّه، ووفق هذا الطرح، يكون العنف مسلّطاً على المجتمع ككلّ. وهو ما يعني تكريس ثنائيّة الرّجل/ العدوانية/ العنف، في مقابل المرأة/ الخضوع/ السّلم، وهو ضرب من جندرة دوافع انتماء النّساء والفتيات إلى المنظمات المتطرّفة، فضلاً عن كون هذا التفسير يقع في التعميم، إذ لا ينطبق على كل النّساء وفي مختلف المجتمعات<sup>(4)</sup>.

## 2- نزع جندرة دوافع الانتماء:

تذهب قرامي إلى القول إنّ دوافع المرأة للانتماء إلى المنظّمات الإرهابية مركّبة، وينبغي أن تلتبس في مجالات كثيرة منها: الشّخصي والاجتماعي، والسياسي والاقتصادي...<sup>(5)</sup>. وهو ما يعني أنّ دراسة أسباب الانتماء إلى الجماعات المتشدّدة والإرهابيّة يستدعي استحضار براديغمات

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص 42.

(3) المصدر نفسه، ص 44.

(4) المصدر نفسه، ص 42.

(5) المصدر نفسه، ص 43.

كثيرة متقاطعة «كنمط التنشئة الاجتماعية والدينية والثقافية وطرق بناء الهويات وبنية العلاقات ونمط العيش...»<sup>(1)</sup>.

وقد تركّز جهد الباحثة على أربعة عوامل لتفسير انتماء النساء والفتيات عامة إلى الجماعات الجهادية، هي السنّ والدين، والحالة الاجتماعية والطبقة على نحو لا تختلف فيه الإناث عن الذكور من الرجال والشباب، وهو ما عنيناه بمصطلح: نزع الجندرة. بالرغم من أن الباحثة في موطن آخر تحدّث من الإيحاء بخطأ تجاهل الفوارق بين الجنسين (2 - تغيير العدسة).

أ - السن: ترى الباحثة أن المراهقين يبنون هويّاتهم عبر الألعاب التي تساهم في تشكيل المتخيّل وتصورهم للبطل النموذجي الخارق، ويلاحظ كذلك أن الشباب يتعلّق بالراب (\* ) ذي المضمون الدّيني معوّضا به خطبة الجمعة، فيتحوّل، بموجب ذلك، من عبادة الراب إلى عبادة الربّ. ويشعر الشاب بالحاجة إلى التّموقع الاجتماعي، ودخول عالم الرّجال الممثّلين للذكورة المهيمنة، فيجد في الانتماء إلى الجماعات المتطرفة وفي الجهاد طقس عبور (rite de passage) أو طقس ترسيم نحو ذلك العالم<sup>(2)</sup>. ومن هذا المنظور عدّت «الهجرة إلى أرض الخلافة» طقس عبور من المراهقة إلى الرشد، بها يتمّ بناء الذات واكتشاف «القدرات الجسدية والمعنوية التي تساهم في «صناعة الرجال» وبناء الهويات الجندرية»<sup>(3)</sup>. وقد يكون الإحباط والشعور بالغبن والقهر وانسداد الآفاق أحيانا عاملا من عوامل الانتماء إلى الجماعات الجهادية<sup>(4)</sup>.

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 81. وتقول رجاء بن سلامة كذلك في هذا الشأن: «ثم إن الجندر ليس المحدّد الوحيد للانتماء الاجتماعي» فاللتقاطعية (intersectionality) تشير إلى تضافر أشكال من الجور كالتبقة واللون والجندر شأن النساء السود كما تبينه الدراسات الأمريكية المعاصرة». رجاء بن سلامة، بنیان الضحولة، أبحاث في الذكر والمؤنث، مرجع سابق، ص 13 (الهامش). (\* ) الرّاب: يعرف الرّاب تعريفا عاما بكونه ضربا من الموسيقى يتميّز بتكرار عدد من الكلمات التي ينشأ عنها إيقاع ما. ومن خصائصه ارتباطه بقضايا الطبقات الشعبيّة، وهو في الأصل نمط من الموسيقى راج بين السّكان السّود في الولايات المتحدة، ثم انتشر اليوم في كافّة أنحاء العالم.

(2) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب، (دراسة جندرية) مصدر نفسه، ص 86 وص 283. للتوسّع في طقوس العبور، راجع: Arnold Van Gennep, LES RITES DE PASSAGE, ETUDE SYSTEMATIQUE DES RITES.: <http://bibliotheque.uqac.ca/>

(3) آمال قرامي، منية العرفاوي، النساء والإرهاب، (دراسة جندرية)، مصدر نفسه، ص 89.

(4) المصدر نفسه، ص 90.

ب- الدين: يتلخص هذا البراديفم في ظهور شكل جديد من التدين قائم على الإكراه، وعلى الفصل بين الناس، وعلى الوقوف في وجه كل محاولة لتحديث الدين وربطه بمسار العولمة، وعدم الاجتهاد أو إعمال العقل في النصوص... والاعتماد في المقابل على الحس المشترك الشفوي<sup>(\*)</sup> وعلى بعض الفضائيات. وللشباب ذوي الأصول الإسلامية في الغرب دوافع للانتماء يلخصها الشعور بالذنب نتيجة العيش في ظل حكومات كافرة تذل المسلمين وتستغلهم. ومن التمثلات الرائجة أن المسلم البراني في الغرب من أصول غير عربية ساذج وينجذب بسرعة نحو العمل الإغاثي، فيقع في شرك المسلم الجواني (ذي الأصول العربية) المتوحش الذي يتقن التلاعب بالعقول والقلوب<sup>(1)</sup>.

ت- الحالة الاجتماعية والنفسية: ترى الباحثة أن الحرمان من فرص التعليم والعمل وتحقيق الأحلام... جميعها عوامل تجعل الشاب/ الشابة مستعداً للقيام بأية مهمة تنهي معاناته. وتذهب إلى القول إن كثيرا من الدراسات تشير إلى أن أكثر المنجذبين إلى التيارات العنيفة هم شديدي الانفعال، ولهم صعوبة في بناء علاقة مع الآخرين. وممن يبحثن عن التوبة من أخطاء نبذهن من أجلها المجتمع أو عذبهن بسببها الضمير. يقول ابن تيمية: «من كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد»<sup>(2)</sup>.

ث- الطبقة: وقريب من الدافع السابق، ترى قرامي، مستندة إلى عدد من الدراسات، أن أكثر المنتسبين والمنتسبات إلى القاعدة هم من أبناء الطبقة الوسطى ومن أبناء الميسورين. أما المنتسبون إلى تنظيم داعش فهم من الأوساط الفقيرة ومن الطبقة الوسطى<sup>(3)</sup>. وتُضاف إلى البراديفمات السابقة بعض خصائص الخطاب الجهادي (الصور، الفيديوهات، الأناشيد...) التي جعلت منه خطابا مؤثرا. ومنها «بساطة العبارة وبث الطمأنينة في النفوس

(\*) للحس المشترك عند بورديو تعريفات متعددة منها، أنه «ذلك الذي يؤمن، في حدود كون اجتماعي، إجماعا أوليا حول معنى العالم». ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، تر. الزهرة إبراهيم، دمشق، الجزائر، دار الجزيرة والشركة الجزائرية السورية للنشر، ط1، 2013، ص.143.

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص ص 93 - 97.

(2) المصدر نفسه، ص 101.

(3) المصدر نفسه، ص ص 100 - 103.

وتحريك المشاعر والانفعالات وتوظيف مصادر الإحباط والكبت<sup>(1)</sup>. وهي خصائص تنجح غالباً في انتزاع الفرد ذكراً أو أنثى من عالم يسوده الضَّغط النفسي والقلق والشَّعور بالحرمان والملل والنقمة والضعف. وتشير قرامي إلى خصوصية تتعلَّق بـ «الفتيات اللواتي اعتنقن الإسلام حديثاً كالبريطانيات والفرنسيات وغيرهن ممَّن يحملن خلفية حقوقية. فهن يعتقدن أنَّ الجهاد هو نشاطٌ حقوقي وإنساني<sup>(2)</sup>». وهذا الخطاب الجهاديَّ الموجه إلى الغريبات عموماً هو خطاب رومنسيَّ يَعدهن بالاستقرار والحبِّ والزَّواج، ويسعى إلى نمذجة الأمِّ المسلمة العفيفة الطاهرة الشريفة الجديرة بالاحترام في مقابل المرأة الغربية المنحلة. ويشدّد على إعادة تنظيم المجتمعات المعاصرة على قاعدة التَّصوُّرات التَّقليديَّة التي تلجَّ على الفصل التامَّ بين الذَّكورة والأنوثة. وضبط المحدِّدات الخارجية للأنوثة (حجاب، نقاب...) والذَّكورة (اللَّحية، القميص، الشعر المسدل...) وتحديد القيم التي تخصَّ كلَّ جنس، والسُّلوك المناسب له. إنَّه مشروع لإعادة تشكيل الهويَّات، وصناعة الرَّجولة والأنوثة في لحظة فاصلة: لحظة الحرب والفرز الديني، وذلك عبر التذكير المستمرَّ بالتضادَّ التامَّ بين الذَّكورة والأنوثة، واستحالة انبثاء الأولى إلا على أساس نفي الثانية، وهو أمر يختلف عمَّا جرى في مرحلة الكفاح الوطنيِّ الذي لم يتمَّ فيه شيء من تحديد الهويَّات. وهكذا يتأكَّد أنَّ الرسالة الجهادية هي رسالة/ سرديَّة بعث الرجولة الكاملة/ الحقيقية التي تكاد تنقرض<sup>(3)</sup>.

وأياً ما كان الأمر، فإنَّ الباحثة تنتهي إلى القول إنَّ الخطأ الأعظم في دراسة نموذج الانتحاريَّات (والمنتسبات عموماً إلى التيارات الجهادية) هو السَّقوط في التعميم والتنميط، إذ «لا انتحارية تشبه الأخرى في ما يتعلق بالرغبة في تدمير ذاتها، زد على ذلك أنَّ الدوافع تختلف من امرأة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر<sup>(4)</sup>». وهكذا تخلص قرامي إلى القول إنَّ المقاربة الجندرية ليست بحثاً في الاختلاف بين الذَّكورة والأنوثة إثباتاً ونفياً، لأنَّ في ذلك ما فيه من التعميم المخلَّ، بل هي استقصاء للبواعث والأسباب والدوافع الخاصَّة بكل امرأة أو شابَّة. ومع ذلك فإنَّها قد وقعت

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 143.

(2) المصدر نفسه، ص 156.

(3) المصدر نفسه، 450.

(4) المصدر نفسه، 132.

في ما سبق أن نبّهت منه وهو الإيحاء بأنعدام الفوارق بين الذكورة والأنوثة في إطار البرايفمات الأربع (السن، الوضع النفسي والاجتماعي والطبقة والدين)، ودعمت ذلك بإجمال مسار انتماء النساء/ الشابات (وهو ما ينطبق على الرجال/ الشباب أيضا) إلى التنظيمات الإرهابية في خطاطة عامة ذات مراحل ثلاث على النحو الآتي:

أ - حياة عادية.

ب - حدث قادم في صورة فقد ما: طلاق، وفاة، شغل...

ت - غسل الدماغ وتبني للتطرف.

### III- أدوار النساء بين الجندرة ونزعها

خضع النظر إلى الأدوار التي تؤديها المرأة في صلب التنظيمات المتطرفة إلى الجندرة. فقد نظر إلى المرأة/ الفتاة على أنها مجرد مساعد ينحصر دوره في وظائف محدودة لا يتعداها (طبخ، تطيب، مداواة الجرحى، متعة جنسية...). وهي صورة نمطية تم تكريسها في مدونات الفقه استنادا إلى النصوص الدينية التأسيسية. غير أن حركة الواقع والضغوط التي صاحبت تحولات أنماط العيش اقتضت من منظري الحركات المتطرفة إعادة النظر في كثير مما استقرّ فقهيًا، كضرورة المحرم لخروج المرأة، واستشارة وليّ الأمر، ولبس الحجاب، وسهم المحاربة، والانخراط في المعارك الفعلية الخ... من ذلك أن أبا مصعب الزرقاوي (متجاوزا الظواهرية زعيم القاعدة) وابن باز يوافقان على نفي المرأة للجهاد في حال جهاد الدفع وعجز الرجال دونهن، وحصول استنفار عام يدعو إليه وليّ الأمر<sup>(1)</sup>. وترى الحركات ذات المرجعية الإسلامية مثل حماس والقاعدة وجبهة النصرة وداعش... كذلك جواز مشاركة المرأة في المعارك استنادا إلى سيرة السلف من الصحابيات، فقد أبلت أسماء بنت أبي بكر بلاءً حسنا في معركة اليرموك، وشاركت نسبية أمّ عمارة الأنصارية في معركة أحد، ودافعت عن الرسول (ص) حين فرّ الرجال، واشتهرت أخريات ببسالتهنّ كأُمّ سليم بنت ملحان، والربيع بنت معوض، وأسماء بنت يزيد، وصفية بنت عبد المطلب، وأمّ حكيم بنت الحارث، وأمّ الحارث الأنصارية وغيرهنّ. واستند المجوزون كذلك إلى تاريخ المقاومة الفلسطينية، فعدّوا أسماء الاستشهاديات، مثل: وفاء إدريس 2002،

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 66 وص 225، 226.

وهبة الدراغمة 2003، وهبة المدخل 2004...<sup>(1)</sup>. وأفتى أبو جعفر الحطّاب عضو اللّجنة الشّرعية لأنصار الشريعة في تونس (كتيبة عقبة بن نافع) بضرورة الهجرة والتّفير من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وأجاز سفر المرأة من غير محرم، وساوى بين أسهم الرّجال وأسهم النّساء في الغنائم<sup>(2)</sup>. وهكذا تراجع المحافظون عن الآراء الموروثة المتشدّدة، وأبدوا مرونة في أحكام جهاد النّساء. ولئن كان ذلك كاشفا عن تغيّر في الأوضاع وحصول ضرورات تبيح المحظورات، فإنّه يكشف أيضا عن رغبة في استغلال ما يعتقد أنّه هشاشة في النّساء وضعف في عقولهنّ يجيز توظيفهنّ في قضية أسمى وأكبر، مثلما أنّها رسالة توبيخ للرّجال المسلمين، وتهديد وتخويف للأعداء المخالفين. وهي كذلك شكل من أشكال هيمنة النظرة الدّونية التي ترى المرأة متاعا يتصرّف فيه. ولا اختلاف، حينئذ، كما تقول قرامي، بين الحركات الجهادية/الإرهابية والرّسمايلية والامبريالية والعمولة التي تدّعي تلك الحركات مواجهتها، وهي، من حيث لا تدري، تصنع صنيعها على الأقل مع النّساء، فتشبيهنّ وتستغلّهنّ لغايات إيديولوجية<sup>(3)</sup>. وهكذا فإنّ ما يبدو تغييرا في الصّور النمطيّة وفي النظام الجندرّي هو في حقيقة الأمر ترسيخ له، وتثبيت ولكنّ بوسائل وأدوار مضلّلة.

ولئن شفت التّأويلات السّابقة عن جندرة ضمنيّة لأدوار النّساء، فإنّ الباحثة آمال قرامي تذكّر بما فيها من تعميم، وتدعو، في المقابل، إلى التّمييز بين فئتين من النّساء: الممتثلة للمعايير الجندريّة والمخرقة لها. تقول قرامي: «هناك فرق بين فئة الإرهابيات الممتثلات للمعايير الجندرية والتّوقّعات الاجتماعية (التّبعيّة، الضّعف، التردّد، العجز عن اتّخاذ القرارات...) والفئة المستقلّة من النّساء اللّاتي يكنّ ذوات قدرة على الفاعلية، والتحكّم في قراراتهنّ»<sup>(4)</sup>. ولكنّ الباحثة سرعان ما تستدرك لتؤكّد أنّ الفئة الثانية ليست متمرّدة تماما ولا مخترقة للنّظام الجندرّي اختراقا كاملا، وبذلك تظلّ الحقيقة الوحيدة الملموسة هي الدوافع المجندرة للانتماء، مادام اختيار المرأة والفتاة «ليس حرا تماما حتى وإن بدا لنا ذلك»<sup>(5)</sup>، لا سيما حين تكشف الشهادات عن دخلنة النّساء لمعايير النّظام الجندرّي في مستوى العلاقات بين الجنسين، وفي توزيع الأدوار الجهاديّة: «فطالما أن

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 66، 67.

(2) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر نفسه، ص 69.

(3) المصدر نفسه، ص 69، 70.

(4) المصدر نفسه، ص 77.

(5) المصدر نفسه، 78.

الرجل ينشغل بالقتال الميداني فإن من واجب المرأة أن تسانده وتخفف عنه الأعباء. ومادام الرجل يعيش تحت الضغط والإكراه ويجبر على إثبات رجولته على أرض المعركة فإن المرأة أن تطمئنه على استمرارية النظام الجندري وفق المعايير التي ضبطها المجتمع الذكوري<sup>(6)</sup>. ومن وجوه دخلته النظام الجندري كذلك وظيفة الأمومة عند الجهاديات التي باتت عندهن وظيفة سياسية لبناء الخلافة وتحقيق المشروع<sup>(7)</sup>. ولا مراء في وجهة ما اعتبرته الباحثة هيمنة ذكورية استبطنتها النساء، أو ما أسلفنا اعتباره جندرة للأدوار في صلب المنظمات الإرهابية، غير أن ذلك التوصيف يكتفي برصد ما يظهر على السطح فقط، أما في ما وراء ذلك فالرجال أنفسهم يخضعون لهيمنتهم الخاصة حسب العبارة الماركسية التي استدعاها بيار بورديو (Dominés par leur domination)، إذ على كل رجل أن يعمل على أن يكون في مستوى الفكرة التي كوّن لها في طفولته عن الرجولة<sup>(8)</sup>. واستجابة للإملاءات الجندرية للأوامر التي توجه إليه حتى ينهض بما هو متوقع منه اجتماعياً. ولا يتناقض هذا مع واقع أن النساء والفتيات قد يتجاوزن أحيانا تلك المعايير والصور النمطية، فينهضن بمهمة الاستقطاب في فضاءات مختارة بعناية (البيوت، المآتم، الجمعيات النسائية الخيرة، المستشفيات..)، وبذلك يحوّلن التّأطير الإيديولوجي، جزئياً، وفي قسم منه، من الرجال إلى النساء<sup>(9)</sup>. وقد تتجاوز المرأة/ الفتاة استقطاب النساء إلى استقطاب الرجال تأسياً بالصّحابة في الذود عن بيضة الإسلام، وقد يكون هذا المستقطب أباً، أو أخاً، أو حبيباً، أو زوجاً...، ويتراوح خطابها، حينئذ، بين اللين والعنف المستفز. وهكذا قد تصبح المرأة/ شهرزاد فاعلا والرجل متقبلاً سلبياً/ شهريار<sup>(10)</sup>.

(6) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 197.

(7) المصدر نفسه، ص 198.

(8) Pierre Bourdieu, La domination masculine, Edition du Seuil, Paris.2002. p59. Voir aussi: Chapitre I, La vision féminine de la vision masculine. pp59 - 68.

انظر كذلك قوله:

- les dominants ne peuvent manquer de s'appliquer à eux - mêmes, c'est - à - dire à leur corps et à tout ce qu'ils sont et ce qu'ils font, les schèmes de l'inconscient qui, dans leur cas, engendrent de formidables exigences - comme le pressentent, et le reconnaissent tacitement, les femmes qui ne veulent pas d'un mari plus petit qu'elles. P59.

(9) قرامي، العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 201 وما بعدها.

(10) المصدر نفسه، ص 207.

ونظير ذلك أيضا استخدمهنّ وسائل الاتصال الحديث، والسعي للحصول على مواد متفجّرة وتهريب السّلاح وجوازات السفر ونقل الرسائل وتضليل الشرطة وإيواء الفارين والتدريب على السّلاح (أفغانستان، ليبيا، الرقّة) ... متجاوزات بذلك، مثلما أسلفنا القول، المعايير الاجتماعية والدينية كمنع الاختلاط واستئذان الزوج والقوامة، ومصاحبة محرم عند السّفر ولبس الحجاب...<sup>(1)</sup>. ولئن أبدت بعض الدراسات الغربية وغير قليل من المستشرقين انحيازا إلى المرأة الغربية على حساب المرأة الشرقية، وذلك باعتبار نساء الغرب هنّ وحدهن اللواتي يلتحقن بالجهاد متى اقتنعن، على خلاف نساء الشرق، نساء النظام البطريركي الخانعات الخاضعات، فإنّ الباحثة آمال قرامي تذكر بأن أمثلة عديدة لنساء من اليمن والسعودية تفنّد هذه الأطروحة وتبيّن أنّ الشرقية أيضا، متى اقتنعت، تحدّت كل العراقيل<sup>(2)</sup>. ولا يدري الدّارس كيف يمكن الجمع بين الدفاع عن قدرة المرأة الشرقية على التحدي وبين قول الباحثة بأنّ قرارها «ليس حرا تماما حتى وإن بدا لنا ذلك»<sup>(3)</sup>، كما أسلفنا.

وفي السياق نفسه تفنّد فاطمة المرينسي هذه الأطروحة، ولكن بالتركيز على المرأة الغربية، فقد أشارت إلى أنّ للغرب أيضا «حريمه»، وأنّ «العنف الذي يمثله الحريم الغربي غير ظاهر بوضوح لأنه مغلف بالاختيار الجمالي»<sup>(4)</sup>. وتعني مقاييس الجمال (السنّ، الوزن، المظهر، مقياس القدم، مقياس الخصر...) والموضة عموما، ولا فرق عندها، بين حريم الشرق وحريم الغرب إلا في النوع والوسائل المتبعة. فهو «مجال على الضفة الجنوبية من المتوسط [تعني الحجاب بمعنييه]، وزمن على الضفة الشمالية [تعني السنّ خاصّة]»<sup>(5)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإن دراسة الاستشهاديات/ الانتحاريات تكشف أنّ تفسير فعلهنّ يخضع إلى براديجمين نتيجة كليهما كاشفة عن صلابة النظام الجندي، والوضعية الدونية للمرأة: 1- إخضاع المرأة في مجتمع بطريكي والتلاعب بها لخدمة الإيديولوجيا والحروب الذكورية (جسدها لها وليس لها).

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 224، 225.

(2) المصدر نفسه، ص 456.

(3) المصدر نفسه، ص 78.

(4) فاطمة المرينسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، تر. الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ص 228.

(5) المرجع نفسه، ص 230.

2- الدفاع عن فكرة تحرّر المرأة من خلال مشاركتها في العمل الجهادي، وبلوغها به درجة التمكين دليل وعي بأهمية المساواة والتّناصف. وهذا مردود عليه بتجربة النساء في حركات التحرير التي لم تفض إلى تحريرهن. وهو ما يدلّ على الاعتقاد الزائف بأنّ التحرير لا يمرّ إلا عبر العنف، والحال أنّ موضوع الانتحاريات، كما تقول الكاتبة، معقد وتختلف الأسباب من امرأة إلى أخرى<sup>(1)</sup>.

ويذهب دارسون آخرون، في نظر الباحثة، وخاصّة المتخصّصات في الدّراسات ما بعد الكولونيالية، ونسويّة العالم الثالث إلى تفسير تكيف النساء والفتيات مع المناخ الحربيّ الدمويّ والتعوّد على كلّ أشكال العنف على وجوه ثلاثة:

أ - ردّ فعل على عنف يتمّ في الفضاء العامّ، في المجتمعات التي تسود فيها ذكوريّة مهيمنة متسلّطة ممارسةً للعنف والتسلّط السياسيّ والأمنيّ، ويكون ردّ الفعل عليها عنفاً آخر يوازي ما مورس على الذات أو على الأقارب والأصدقاء.

ب- ردّ فعل على عنف يتمّ في الفضاء العائلي، فيكون، حينئذ، العنف النسائيّ نتيجة لعنف جنديّ في المجتمعات الأصليّة.

ت- محاكاة الرّجال (الاسترجال)، وذلك بممارسة العنف والإفراط فيه من قبل النساء محاولةً منهّن لمحاكاة الرّجال وامتلاك السّلطة، وانتحالاً لصفة ذكوريّة يعبر بها عن العجز عن خلخلة النظام الجندي القائم<sup>(2)</sup>، تماماً كما يفعل الحمل الذي يتكرّر في جلد الذئب بعد أن يعجز عن حيازة قوته وحماية نفسه من بطشه. ذلك أنّ «الطريقة الوحيدة التي يمكن للمرأة أن تتكلم أو تتواصل [بها] هي بالاستيلاء على الأداة الذكوريّة، بطريقة أو بأخرى على المرأة أن تمتلك الفالوس الذي ينقصها: إذ يجب التعويض عن العجز»<sup>(3)</sup>.

وهكذا فلأدوار التي تنهض بها المرأة في صلب الجماعات المتطرّفة وجهان: ظاهر وباطن، والمثال على ذلك، زيادة على ما سلف، دور المحسبات في الفضاءات العموميّة: فتتظلم داعش مكّن النساء من لعب دور المحسبة في الأسواق استناداً إلى النظام الإسلاميّ القديم. وهو ما يوهم

(1) قرامي، العرفاوي، النساء والإرهاب، (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص 235.

(2) المصدر نفسه، ص ص 451، 452.

(3) جون ليشته، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 331.

بالتّمكن والتحرّر. فهي تعذّب وتعتقل، ولكنّ بوصفها حارسةً للقيم والحدود الجندرية<sup>(1)</sup>. أمّا المثال الثاني الذي تسوقه الباحثة فهو تعذيب الجهاديات الأيزيديات، إذ سرعان ما تتوارى ادّعاءات تحقيق نوع من المساواة الجندرية مع الرجال حين نرى مشاركة هؤلاء النساء في تعذيب الأيزيديات وإهانتهم مع المجتمع الذكوري وتشقيهنّ منهنّ<sup>(2)</sup>. ونظير ذلك أيضا ما ذكرته فاطمة المرنيسي من أنّ الأدوار التي تقوم بها المرأة لا تدلّ ضرورة على تحرّر المرأة، خلال الثورة الجزائرية اعتمدت الحركة الوطنية على النساء في تمرير الأسلحة والرسائل، ومن القضايا التي كان على هذه الحركة مواجهتها المضايقات التي تتعرض لها هؤلاء المناضلات من طرف «إخوتهم» الجزائريين الذين كانوا يعتبرونهنّ بغايا<sup>(3)</sup>.

وبناء على ما تقدّم، فإنّ المرأة التي تملك نصيبا من السّلطة في إطار التنظيم الجهادي (داعش مثلا)، لا تمارسها إلا في إطار السّلطة الذكورية كما تقول قرامي. وإن طرح مسألة التمكين لا يستقيم في نظرنا، لأننا ننفي في مثل هذه الحالة، وجود فضاءات أخرى لتمكين المرأة وكأن الخيار الوحيد الذي يبقى أمام المسلمة هو تفجير نفسها خدمة لله ورئاسة الكتائب<sup>(4)</sup>. وما شعورهن الدائم بالحاجة إلى رضى الذكور الأدليل، كما تضيف، على أنّ التمكين مشروط بإرادتهم لا بإرادتهنّ.

وأيّا ما كان الأمر فإنّه لا يمكننا، في رأي الكاتبة، أن ننكر أنّنا نعيش تحوّلًا في منظومة القيم والتصورات والتّمثلات وأنماط السلوك الذكوري والأنثوي وطرق بناء العلاقات الاجتماعية وتوزيع الأدوار... وهكذا تخلخل النظام الجندري التقليدي، وبدأ التأسيس لنظام جنديّ جديد<sup>(5)</sup>.

(1) آمال قرامي، منية العرفاوي، النساء والإرهاب، مصدر سابق، ص 237، 239. في بيان الاختلاف بين ظاهر التحرّر وباطن الخضوع تقول فاطمة المرنيسي: «إنّ وضعيّة المرأة التي تعمل في مكتب تذكر بوضعيتها في البيت التقليدي، والخلط بين هذه الصور والمواقف يفسر ردود أفعال الرجال تجاه - زميلتهم - المرأة. فمثلا نجد أنّ الكاتبة الخاصة للرئيس تابعة له كما لو كانت زوجته أو أخته وله الحق في إعطائها الأوامر (...) ليس بين الكاتبة والزوجة إلا خطوة قصيرة، ويبدو أن عديد الرجال يخطونها بيسر» فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافى العربي، الفنك، الدار البيضاء، 2005. ص 162.

(2) آمال قرامي، منية العرفاوي، النساء والإرهاب، (دراسة جنديّة)، مصدر سابق، ص 239 وما بعدها.

(3) فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، مرجع سابق، ص 160، 161.

(4) آمال قرامي، منية العرفاوي، النساء والإرهاب، (دراسة جنديّة)، مصدر سابق، ص 462.

(5) المصدر نفسه، ص 452، 453.

وتهاوت مجموعة من الصور النمطية حول الأنوثة والذكورة واللين/الصلابة، القوة/الضعف... وتغيّرت دلالات مصطلحات ومفاهيم عديدة كالأمومة (لم تعد عاطفة وحنانا بل قدرة على إعادة إنتاج نموذج الرجولة والأنوثة وتربية جيل من المجاهدين)، والشرف (لم يعد بين أفخاذ النساء، بل في القدرة على صون شرف الأمة وخدمة الإسلام) إلخ...<sup>(1)</sup>.

### خاتمة:

نخلص في خاتمة هذه المقاربة إلى عدد من الاستنتاجات يمكن إجمالها على النحو الآتي:

● الدراسات الجندرية حديثة الظهور غربا وشرقا في مقاربة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، وتنتمي فكريا وفلسفيا إلى مقولات ما بعد الحداثة ومقدماتها النظرية والمنهجية. ومنها مفهوم الحقيقة ومفهوم الفرد وحقوقه، وعلاقة الإنسان بالعالم...

● ظاهرة الإرهاب ذات طابع تركيبى، وبناء على ذلك، فإنّه لا مفرّ من مقاربتها باستعمال براديفمات متنوعة للإحاطة بها. «interdisciplinarité» ومن تضافر اختصاصات مختلفة «intersectinalité». وقد دعت الباحثة إلى ضرورة توظيف المقاربة الجندرية بعد أن أثبتت النظريات النسوية مردوديتها في دراسات جرت في العلوم السياسية والعلاقات الدولية منذ العشريّة الأولى من القرن الواحد والعشرين، ومع ذلك فقد نبّهت إلى أمرين: أولا: أنّ كثرة المناهج قد توهم بإمكانية الاستغناء عن المقاربة الجندرية. ثانيا: أنّه قد يتمّ الانحراف بالمقاربة الجندرية إلى مزيد جوهرية الاختلاف بين الذكورة والأنوثة، أو إلى اختزالها واتخاذها مجرد موضة عبر استعراض المفاهيم والمصطلحات الأعجمية الرنّانة. وقد لاحظنا في حينه أنّ الباحثة قد نظرت إلى تتبّع الاختلافات بين الذكورة والأنوثة بوصفه ضربا من جوهرية الاختلاف، ولكنّها، قد اعتبرت أنّ إهمالها، أعني إهمال الفوارق/الاختلافات بين الإناث والذكور، الذي ينشأ عن تعدّد المناظير، قد يوحي بإمكانية إلغاء براديفم الجندر ذاته، أو بصرف الانتباه عن اضطرابات الجندر.

● انطلقت الباحثة من توصيف واقع جندرة الإرهاب، وخضوع الدارسين للصور النمطية للذكورة والأنوثة. واعتبار الفعل الإرهابي فعلا ذكوريا انتماؤه وأداءه، والحكم على مشاركة

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، المصدر سابق، ص475.

النساء، مهما كانت فاعليتها، بالثانوية والعرضية وبالتبعية للأوامر الذكورية أو باستبطان النظام الجندي المتمركز حول الذكورة.

● سعت الباحثة إلى نزع الجندرة عن النشاط الإرهابي عبر بيان تخطي النساء للأسيجة الجنديّة المفروضة، وهو تخطّ تجسّد في القيام بمهام غير معهودة كالتدريب والتدريب على السلاح، والقيام بالعمليات الانتحارية/ الاستشهادية، والمشاركة في القتال، والتهاوض بمهامّ التعبئة والدعاية...

● بينت الباحثة أنّ فاعلية الإرهابيات في صلب المنظّمات الإرهابية، وقيامهن بأعمال كان النظام الجنديّ يقصرها على الذكور دون الإناث، وتجاوز منظري الحركات الإرهابية المعاصرين لتحفظات القدامى الخاصة ببعض الأحكام حول القوامة، وخروج المرأة بلا محرم، واستئذان الزوج أو الولي، وسهم المجاهدة... وتحولات بعض المفاهيم كمفهوم الأمومة والشرف... كل ذلك لا يدل على تمكّن المرأة من حريتها وامتلاكها أخيراً القدرة على تقرير مصيرها، لأنها إنّما شاركت بمقدار ما سمحت به الإرادة الذكورية، وفي حدود المجالات الزمنية والمكانية والنوعية (نوعية الأعمال) التي أذنت بها. ولا أدل على ذلك من افتقارها المستمر إلى رضى الرجل في ما تأتيه من أعمال وأدوار، فضلاً عن كون تجارب التحرير الوطني نفسها كانت دليلاً على أنّ المرأة، رغم مشاركتها في تلك الحروب، لم تتل حريتها بالتوازي مع تحرر الأوطان.

● تركّز تحليل بنية العلاقات الذكورية الأنثوية، في سياق الفعل الإرهابي، على طابع الهيمنة والإخضاع والاستغلال الذكوري تجاه النساء / الفتيات، ولم تشر الباحثة إلى أنّ الذكورة نفسها تخضع إلى ضروب من الإكراه إزاء المعايير الجنديّة والصّور النمطية ذاتها التي كانت سبباً في إخضاع النساء، وذلك عبر شعور الرجل بضرورة الاستجابة إلى «بنیان الفحولة» المفروض. وهو أمر لم يغب عن مقاربات جنديّة أخرى، ومنها، كما وقعت الإشارة إلى ذلك، ما ذكره الفيلسوف الفرنسي بيار بورديو.

● يخلص الدّارس لكتاب «النساء والإرهاب» إلى أنّ المشروع الإرهابي مشروع سياسي اجتماعي ديني جندي، وأنّ دراسات الإرهاب قد وقعت غالباً في شرك جندرته. وقد آن الأوان أن تُنزع عنه الجندرة، بعد أن اتّضح خطأ الأحكام التعميمية التمييزية، وأثبتت، في المقابل، المقاربات الجنديّة/ النسوية مردوديتها منذ مطلع القرن الواحد والعشرين في مجالات كثيرة منها العلوم السياسية والعلاقات الدولية ودراسات الحرب والسلام....

● يمكن القول إن الباحثة قد أتت في مقاربتها ثلاث خطوات، اثنتان منها (كشف الطابع الجندري فنزع الجندرة)، تمهّدان لوجهة نظرها وهي أنّ الأنوثة والذكورة، عموماً، متعدّدة بحسب السياق والزّمان والمكان. وأنّ كلّ تعميم أو تميّط يستند إلى الجنس هو خطأ محض.

### المصادر والمراجع:

#### أ - المصدر:

- قرامي، آمال، والعرفاوي، منية، النساء والإرهاب (دراسة جندرية)، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

#### ب- المراجع:

#### \* العربية:

1- بن سلامة، رجاء، بنیان الفحولة، أبحاث في المذكر والمؤنث، دار البترا للنشر والتوزيع، ط5، دمشق، 2005.

2- شوفالييه، ستيفان وشوفيري، كريستيان، معجم بورديو، تر. الزهرة إبراهيم، دمشق، الجزائر، دار الجزيرة والشركة الجزائرية السورية للنشر، ط1، 2013.

3- ليتشه، جون، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً، تر. فاتن البستاني، مرا. محمد البدوي، المنظمة العربية للترجمة والمركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2008.

4- المرنيسي، فاطمة، شهرزاد ترحل إلى الغرب، تر. الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي ودار الفنك، ط1، 2009.

5- ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الفنك، الدار البيضاء، 2005.

6- المسيري، عبد الوهاب، قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، القاهرة 2010.

#### \* الفرنسية:

- Bourdieu, Pierre, La domination masculine, Edition du Seuil, Paris.2002. p59. Voir aussi: Chapitre I,

La vision féminine de la vision masculine. pp59 - 68.

- De Beauvoir, Simone, Le deuxième sexe, t. II (L'expérience vécue), Paris, Gallimard, 1949.

- Van Genep, Arnold, Les rites de passage, étude systématique des rites: <http://bibliotheque.uqac.ca/>.

# In the genderizing of Terrorism and ungenderization: A Reading of the book Women and Terrorism (gender - based study)

DR. MOBAREK HAMDI •

## Abstract

We have approached the book «Women and Terrorism: A Gender Study of the co - writers professor Amal Garami and the journalist Monia Al - Arfaoui in its theoretical and historical framework. We adopted a critical analytical approach to reviewing the theoretical part of this book, which was edited by Amal Garami. We attempted to focus on how femininity and masculinity - related stereotypes and inherited social representations were deconstructed in cases of violence, religious extremism and «jihadist» actions. Those pictures and representations have imprisoned both women and men in cliché of attributes, values, behaviors and roles. Accordingly, genderized orders presupposes the inevitably response to the views that consider violence as a male characteristic, and look at women as reluctant, cowardly, and emotional. We were eager to explain those stereotypes represented in the genderedness of terrorism, in relation to the reasons of belonging to terrorist groups, or the roles that women play in that regard. We followed Garami's attempt to refute this thesis (the genderedness of terrorism), and to defend another, that presupposes the multiplicity of female and male paths in belonging to terrorist groups or advancing roles in their course. In our appraisal of the book's thesis, we sought to criticize some arguments and theses, such as considering the anatomical physiological structure of females and males a negative vessel whose role does not exceed the absorption of gender ideologies and the reception of ideas, images and representations. I also criticize the superficial and ostensible aspects of genderized reasons of belonging and roles played in the core of terrorist organizations. Also, I emphasize that men themselves are subject to their own domination according to the Marxist phrase evoked by Pierre Bourdieu (Dominés par leur domination), and that they must respond to the received gender - based dictations as expected of them socially.

• Professor Contemporary Civilization. University of Gafsa.